

الجامعيون يحترّبون

للدكتور زكي مبارك

كان الأسبوع الماضي من الأسابيع الدامية في حياة الجامعة المصرية ، وكان رجعة إلى معارك الصاعيدة والبحاروة في الأزهر الشريف ، فاهى الصلات بين القديم والجديد من هذه المناوشات التي تقع في المعاهد العلمية ؟

إن النضال بين الصاعيدة والبحاروة من الأزهريين كان رجعة لأحقاد عرفت مصر منذ عهد الفراعين بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، وكان لهذا النضال مواسم يذكرها من شهد الحياة الأزهرية قبل أن تخضع للنظام الحديث

فما هو سبب النضال بين كلية الآداب وسائر الكليات ؟ وما الذي قضى بأن يكون للجامعيين تاريخ في المداوة والبغضاء ؟

لقد كانت كلية الآداب منذ نشأتها محفوفة بالرعاية والمطف من جميع المعاهد العالية ، فوالذي جد من الشؤون حتى تصبح هذه الكلية المحبوبة هدفاً للعداوات ، وحتى تشن عليها الفارة بلا ترفق ولا استبقاء ؟

ما الذي جد في دنيا القلوب حتى تنور الحرب الدموية بين طلبة الآداب وطلبة الحقوق ؟

وكيف جاز أن يصبح الحرم الجامعي مجروح المهية والجلال وفيه تمثال الشهداء في سبيل الوطنية لا في سبيل المنافع الشخصية ؟ كيف جاز أن يحترّب الرفاق في بقعة مسورة بالأزهار والرياحين في مطلع الربيع ؟

وكيف نسي أولئك الشبان أن من الجريمة أن يدنسوا الحرم الجامعي بالأحقاد الشخصية ، وهو بفضل العلم لا يقل قدسية عن المحارب ؟

كيف نسي أولئك الشبان نعمة الله عليهم وهم يفتدون ويروحون في رياض تذكر بأرواح الفراديس ؟

إن الجامعة لها موقع قليل الأمثال في الشرق ، وهي تنتظر من أبنائها أن يكونوا جذوة روحية تضيء أقطار الشرق ، نبأى

كتب نظام الملك كتاب السياسة (سياستنامه) قبل مائة سنة واحدة ، وضمنه علمه وتجاربه وآراءه في سياسة الملك وترتيب الدولة ، وإنصاف الرعية ، وقسمه إلى خمسين فصلاً .

والكتاب مقدمة كتبها ناسخ الخزانة السلطانية بين فيها سبب تأليف الكتاب فيما يأتي :

« أمر السلطان السعيد أبو الفتح ملكشاه ابن محمد أمين أمير المؤمنين أنار الله برهانه ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعض الكبراء والشيوخ والعلماء أن تفكروا في أحوال المملكة وانظروا ماذا من السيئات في عهدنا ، وماذا خفي علينا ، وماذا فعله السلاطين السابقون ولم نفعله ، وأعلمونا به . وكذلك اكتبوا ما تعرفون من سنن الملوك السالفين مما يتعلق بدولة السلاجقة وملكهم ، وأعرضوه علينا لتأمله ونأمر بعد أن يسير كل عمل ديني ودنيوي على قاعدته ، ويوضع كل شيء في موضعه ، وننهي عما لا يستحسن . فإن الله وهبنا الدنيا وأتم نعمته علينا وقهر أعداءنا فلا ينبغي أن يكون أمر في مملكتنا ناقصاً أو يذهب عمل على غير وجهه أو يخفى علينا شيء . »

« أمر بهذا نظام الملك ، وناج الملك ، ومجد الملك وطائفة أمثالهم ، فكتب كل ما تيسر له في هذا الشأن وعرضه على السلطان فلم يعبه إلا ما كتب نظام الملك فقال : كتبت هذه الفصول كما أردت فليس في نفسي عليها مزيد . وقد اتخذت هذا الكتاب إمامي وسأعمل به . »

ويقول نظام الملك في خاتمة الكتاب : « هذا كتاب السياسة . أمر سلطان العالم خادمه أن يكتب في هذا الموضوع فامثل أمره . كتب تسعة وثلاثين فصلاً على عجل ورفعهما إلى السدة المالية فلقيت قبولاً . وكانت مختصرة فزدت عليها ، وأضفت إلى كل فصل ما يناسبه ، وينتهي بلغة واضحة . وقد سلحته إلى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربي سنة أربع وثمانين وأربعمائة ونمحن على عزيمته السفر إلى بغداد ، وأمرته أن ينسخه بخط جميل ، فإذا لم يتح لي الرجوع من هذه السفرة قدمه إلى السلطان . »

وسأنتكم على الكتاب وأترجم فصوله في المقالات الآتية إن شاء الله .
عبد الوهاب عزام

من رحمة الله

إلى من الذين يمتدنون أن في مصر اليوم نهضة ملحوظة في الأدب والفن ، وأن الأدباء والقراء يزدادون يوماً بعد يوم . على أن الذي يسترعى الالتفات ويدعو إلى القلق هو أن نتاج الذهن لم يبلغ بعد في قيمته المادية وأثره الاجتماعي المستوى المطلوب . لماذا ؟ لأن هنالك عنصراً آخر في هذا الشأن ما زال مفقوداً . إن قوة الأدب والفن في أمة لا ترتكز فقط على طائفتي الأدباء والقراء . هنالك طائفة ثالثة عليها يقع قسط كبير من عبء العمل ولها ينسب بعض الفضل في إذاعة نتاج الذهن وإيصاله إلى متناول كل يد ، وإحداث الفعيج حوله ، والإعلان عن خطره . أولئك هم الوسطاء والتجار والناشرون . ففي فرنسا مثلاً ما يكاد يظهر كتاب جديد في باريس اليوم حتى تجده في صباح الغد معروضاً في أصغر قرية من قرى الريف الفرنسي . ووسائلهم في ذلك بسيطة أوجه إليها نظر تجار كتبنا الكسالى المتواكلين . إنهم يملكون أن الكتاب لا يطلب عادة إلا في المحطة عند السفر ، إذ هو خير أنيس في وحدة القطار . فترام قد جملوا في كل محطة صغيرة أو كبيرة عربية يد صغيرة كذلك التي توضع عليها عندما « البسطة » والفطائر والمأكولات . يرضون عليها كل مستحدث من الكتب ، ويعهدون بها إلى سبي يمر بها على الرصيف أمام كل قطار مار . هنا في مصر توجد فكرة عرض الكتب والمجلات في المحطات ، ولكن الذي يؤسف له حقاً هو أن مصلحة السكة الحديدية المصرية قد منحت هذا الامتياز لرجل رومى لا يمرض غير الكتب والصحف الأفرنجية ؛ لأن هذه المصلحة لا تنظر إلا إلى راحة المسافر الأجنبي والسائح الأفرنجي ؛ أما نشر ثقافتنا في أحياء بلادنا على يدها فهو مشروع لم تفكر به فيه .

لذلك سيظل الأدب والفكر وكل ما يتعلق بالثقافة الذهنية والروحي في بلادنا محصوراً في محيط محدود .

ترجمة الحليم

وجه تلقى الناس إذا صاح لأبنائها
أن يجربوا ويقتلوا بأسلحة
ينكرها الغناء ؟

إن أولئك الشبان لا يعرفون
أن هناك مسامح تستريح لأن
تسمع فيهم قالة السوء ، ولا
يدركون أن هذا النوع من
المناوشات يفض من هيبته
المعلية ، ولا يذكرون أن
سيرتهم قد تصبح قدوة لطلبة
المعاهد المالية في الشرق

ولكن ما هي أسباب
المركة بين كلية الآداب وكلية
الحقوق ؟

السبب في جلته يرجع
إلى كتابين يدرسان في كلية
الآداب وفيهما فقرات تمس
المقيدة الإسلامية

ولكن فات خصوم كلية
الآداب أن من المستحيل أن
يقع ذلك عن عمد : فعميد
الكلية يعرف أن في مصر
تيارات دينية وسياسية ؛
وليس من مصلحته أن
يتعرض لمكاره من جانب
رجال السياسة أو رجال الدين .
ومتى صح أن سوء النية غير
موجود فمن التمسف أن يقال
إن كلية الآداب تحارب
المقيدة الإسلامية

أريدون الحق أيها الجامعيون ؟
لقد ضيعتم على أنفسكم
فرصة عقلية لا تتاح في كل
يوم ، وهذه الفرصة بدت
طلانها بحديث عميد كلية
الآداب وحديث شيخ الأزهر
وشيخ كلية أصول الدين

وكان يجب اغتنام هذه
الفرصة : كان يجب أن نرى
المساوالت العقلية بين الأزهر
والجامعة المصرية . كان يجب
على الأقل أن يكون الحكم في
هذه القضية إلى مناظرة علنية
تقوم في قاعة الحفلات تحت
رئاسة مدير الجامعة المصرية

ولكنكم أسرعتم ففصلتم
في القضية بالأيدى لا بالعقول .
نفقوا أيها الجامعيون بأن
الحركة الفكرية في حاجة إلى
وقود ، وهذه المحرقات التي
تنور من حين إلى حين هي أعظم
باعت ليقظة العقول ، وأعداء
هذه البدوات الفكرية هم من
جيش الموت ، لو تعلمون .

أقول هذا وأنا أعرف أن
المشكلة فُضّت ولم يبقَ إلا
حكم التاريخ .

ولكن يؤذيني أن يكون
للجامعة في حياة العقل تاريخ يشبه
تاريخ العنف في أيام الظلمات .